

(فضل الدعاء)

الحمد لله الذي أمرنا بالدعاء وفتح لنا به باب الرجاء ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : **(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)** ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله القائل : **(لَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدَّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ)** اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأتقياء ، ومن تبعهم بإحسان الداعين ربهم في السراء والضراء .
وبعد فيقول ربنا في كتابه : **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** البقرة : 186 .

عباد الله المؤمنين : نحن في شهر الدعاء لأن هذه الآية توسطت آيات الصيام فقد سبقتها آية : **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...)** ثم هذه الآية... ثم قوله تعالى : **(أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)** فدعاء الصائم لا يرد إن شاء الله لقوله صلى الله عليه وسلم : **(ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)** وعندما تقرأ في القرآن الكريم ستجد أن مادة السؤال قد وردت في جوابها **"قل"** فمثلا في قوله تعالى : **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)** تجد الجواب : **(قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ)** وفي قوله : **(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ؟)** تجد الجواب : **(قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ)** وهكذا في جميع الأسئلة يأتي في جوابها **"قل"** إلا آية واحدة جاءت فيها **"فقل"** بالفاء وهي قول الله تعالى : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ)** تجد الجواب : **(فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي)** أنظر إلى الدقة القرآنية : الأولى **"قل"** وهذه **"فقل"** فكأن : **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)** يؤكد أن السؤال قد وقع بالفعل ، أما قوله : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ)** فهذا سؤال ستعرض له مستقبلا ، فكأن الله أجاب عن أسئلة وقعت بالفعل بـ **"قل"** والسؤال الذي سيأتي من بعد ذلك فكانت إجابته بـ **"فقل"** أي أعطاه جواباً مسبقاً ، لكن نحن الآن أمام آية جاء فيها سؤال وكانت الإجابة مباشرة بقوله تعالى : **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي)** فلم يقل : فقل ، بل قال : **(فَأِنِّي قَرِيبٌ)** لأن قوله : **"قل"** تطيل القرب والله قريب من عباده فقال : **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)** فمن كان هذا شأنه فلا يريد واسطة بينه وبين خلقه حتى وإن كان الذي سيبلغ الجواب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الآية لها سبب نزول فلقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أقرب ربك فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ لأن عادة البعيد أن ينادى ، أما القريب فيناجى ، ولكي يبين لهم أنه قريب من عباده حذف كلمة **"قل"** فجاء قوله تعالى : **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** ولكن بشروط لازمة لذلك فما هي ؟ تراها في الآية الكريمة : **(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** .

ويجب أن تعرف أخى المسلم بأن هناك فرقا بين **"عبيد"** و **"عباد"** فكل من في الأرض عبيد لله ، فلم يأت الإنسان إلى الدنيا طوعية وباختيار منه : فقد حملته أمه كُرْهًا ، ووضعته كُرْهًا ، ثم هو يجوع كُرْهًا ويعطش كُرْهًا ، وينام كُرْهًا ، وسيخرج من الدنيا كُرْهًا ، ولكن ليس كل من في الأرض عبداً لله لماذا ؟ لأن منهم من يختارون الباطل على الحق فكان الباطل باختيارهم وهم كثير قال تعالى : **(وَإِنْ نُطِيعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)** ومنهم من يختارون الحق على الباطل فكان الحق باختيارهم وهم قليل ، وهؤلاء هم عباد الرحمن الذين قال الله فيهم : **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا...)**
فالدعاء سلاح عظيم تجده مع المؤمنين لأن فيه خلاصهم من التعلق بغير الله الواحد القهار

وقد أمرنا الله بالدعاء وحذرنا من تركه ، وعدَّ من تركه من المستكبرين فقال تعالى : **(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)** فبالدعاء فرج الله به كرب الأنبياء والصالحين في الماضي والحاضر وإلى قيام الساعة إن شاء الله ، ومن أمثلة ذلك : عندما يؤس نوح عليه السلام من إيمان قومه دعا عليهم فقال : **(رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)** فأجيبته دعوته : **(فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)** عندما يؤس موسى عليه السلام من إيمان فرعون ومن معه دعا عليهم فقال : **(رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)** فأجيبته دعوتهما : **(قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** وبالدعاء فرج الله كرب إبراهيم عليه السلام... وكرب يونس عليه السلام... وكشف الله الضر عن أيوب عليه السلام... فأن الله يغضب حين لم يُسأل قال صلى الله عليه وسلم : **(من لم يسأل الله يغضب عليه)** وهو سبب لزوال الغم وتقريج الكرب قال صلى الله عليه وسلم : **(من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل)** ويقول : **(إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)** ويقول : **(من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب... فليكثر من الدعاء في الرخاء) .**

يذكر أن رجلا من الأنصار خرج في تجارة ومعه مال له ولغيره وكان رضي الله عنه ناسكا عابدا ذا ورع فلقبه لص مقنع في السلاح فقال له : ضع المال فإني قاتلك ، قال الأنصاري : خذ المال ودعني ، قال المال لي ولكني أريد دمك ، قال : فذرني أصلي أربع ركعات ، قال صلى ما بدا لك ، فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه في آخر كل سجدة : ياودود يا ذا العرش المجيد ، يا فعلا لما يريد ، أسألك بعزك وبورك الذي ملأ أركان عرشك : أن تكفيني شر هذا اللص ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني ، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه ، ثم أقبل نحو اللص فقتله ، ثم أقبل على الأنصاري فقال له : قم قال : بأبي أنت وأمي من أنت ؟ قال : أنا ملك من السماء الرابعة عندما دعوت بدعائك الأول سمعت لأبواب السماء قعقة ، ثم لما دعوت بدعائك الثاني سمعت لأهل السماء ضجة ، ثم لما دعوت بدعائك الثالث قيل لي : هذا دعاء مكروب ، فسألت الله أن يوليني قتله ، نعم : **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ؟)** .

فالدعاء سلاح المظلومين والمستضعفين : فإذا انقطعت بهم الأسباب ، وأغلقت في وجوههم الأبواب... رفعوا أيديهم إلى السماء فنصرهم الله وأعزهم وانتقم لهم ولو بعد حين فقد ذكر البخاري ومسلم أن امرأة خاصمت سعيد بن زيد رضي الله عنه في أرض وزعمت أنه أخذ شيئا منها فقال سعيد : **كيف أخذ من أرضك وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أراضين)** فقال سعيد : **اللهم إن كانت كاذبة ، فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها قيل : لم تمت حتى ذهب بصرها ، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت ،** وورد أيضا أن أهل الكوفة شكوا سعد بن أبي وقاص عند عمر رضي الله عنهما ، وزعموا أنه لا يحسن بهم الصلاة فسأله عمر... فقال : **أما والله إنني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق ، ثم أرسل رجلا يسألون عنه أهل الكوفة ، فكلهم أثنوا عليه إلا رجلا واحدا قد كذب عليه وقال : إنه لا يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية فقال سعد : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا وقام رياء وسمعة فأطل في عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن فلم يمت هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينه من الكبر... وإنه كان يعترض الجواري في الطريق فيغمزهن وكان إذا سئل عن فعله قال : شيخ كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد...**

فاتقوا يا عباد الله دعوة المظلوم فإنها مستجابة ولو بعد حين ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وعنه صلى الله عليه وسلم قال : **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)**